من وحي كليلة ودمنة

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

القرد

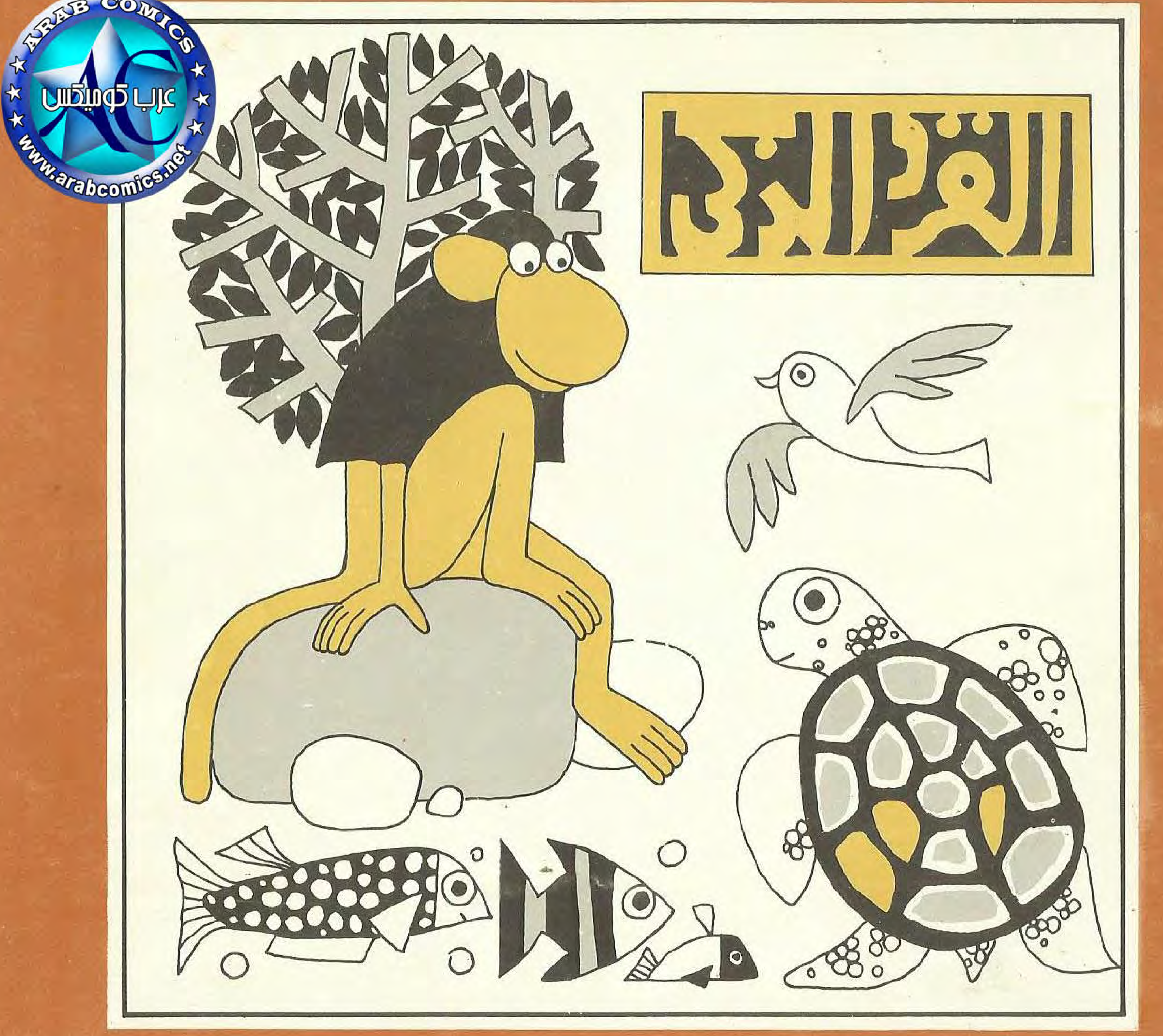
٩

اعداد: راجي عنايت

رسوم: بهجت عثمان

من وحي كليلة ودمنة

المؤسسة العربية للدراسات والنشر



٩

اعداد : راجي عنايت
رسوم : بهجت عثمان

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

من وحي كليلة ودمنة

٩

حيلة القرد الذكي

اعداد: راجي عنايت
رسوم: بهجت عثمان

مسح ضوئي واعداد : احمد هاشم الزبيدي
٢٠١٦م



الطبعة الاولى
١٩٧٧

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر
بناية صمدي وصالحة - ص.ب: ١١/٥٤٦٠
بناية برج شهاب - تلة الخياط - ص.ب: ١٩٥١١٩
برقيًا: موكيالي - بيروت


القرد الذكي



كان القرد « ماهر » ملكا على كل القرود ، يحترمه الجميع ويحبونه ويعجبون بذكائه وأفكاره السليمة . يلجأون إليه في كل ما يصادفهم من مشاكل . وكان القرد « ماهر » لا يبقى في مكانه ، يمر على القرود يسألهم عن أحوالهم ، ويتأكد من أن كل قرد لديه ما يكفيه من طعام ، وأنهم جميعا في خير صحة وعافية .

تمر الأيام والأعوام ، ويصبح القرد « ماهر » أكبر سناً ، لا يقوى على الحركة طوال اليوم ، ويكتفي بجولة واحدة يقوم بها صباح كل يوم . وذات يوم وجد مجموعة من شباب القردة تتناقش وتتبادل الحديث في حماس شديد . اقترب منهم وسألهم عن حالهم ، وعن المشكلة التي تشغلهم ، فتكلم أحدهم ، وكانت تبدو عليه معالم الذكاء والشجاعة ،



قال القرد الشاب « لم يعد الطعام الذي في هذا المكان يكفينا ، ولا بد لنا من الانتقال إلى مكان جديد ، نجد فيه المزيد من الطعام والشراب » .

غضب القرد « ماهر » من كلمات القرد الشاب ، ولم يعجبه أن يتدخل هذا الشاب في شؤون المملكة ، ويقترح مثل هذه الاقتراحات الخطيرة . فالانتقال إلى مكان جديد يعني العديد من المشاكل ، ويحتاج عملاً كثيراً ، وتفكيراً طويلا . قال القرد « ماهر » موجها حديثه لمجموعة الشباب « لماذا تتدخلون فيما لا يعنيكم .. نحن هنا في هذا المكان منذ سنوات طويلة ، نستمتع بالسلام والأمان ، لا يعتدي علينا أحد من الحيوانات المفترسة ، ونجد ما يكفينا من طعام ، فلماذا نبحث عن المشاكل ... » .

لم يصمت القرد الشاب ، فنظر إلى رفاقه يستمد منهم الشجاعة ، ثم قال للملك « كان الطعام يكفينا عندما كان عددنا قليلا .. أما الآن وقد تكاثرنا ، فلا بد من البحث عن حل لهذه المشكلة .. وكل رفاقي يتفقون معي في هذا الرأي » . صمت الملك قليلا يفكر فيما سمعه ، ويحرص على انتقاء كلماته ، وقد أحس بسلامة رأي ذلك الشاب ، وبرغبة في الهروب من هذا الاقتراح الذي يعني جهداً ضخماً لا يقدر عليه . وأخيراً رفع رأسه متحاشياً النظر إلى ذلك الشاب ، وقال « لقد استمعت إلى كلامك ، وسأفكر فيه ، وأتصرف عندما أرى الوقت قد أصبح مناسبا لذلك ..أما

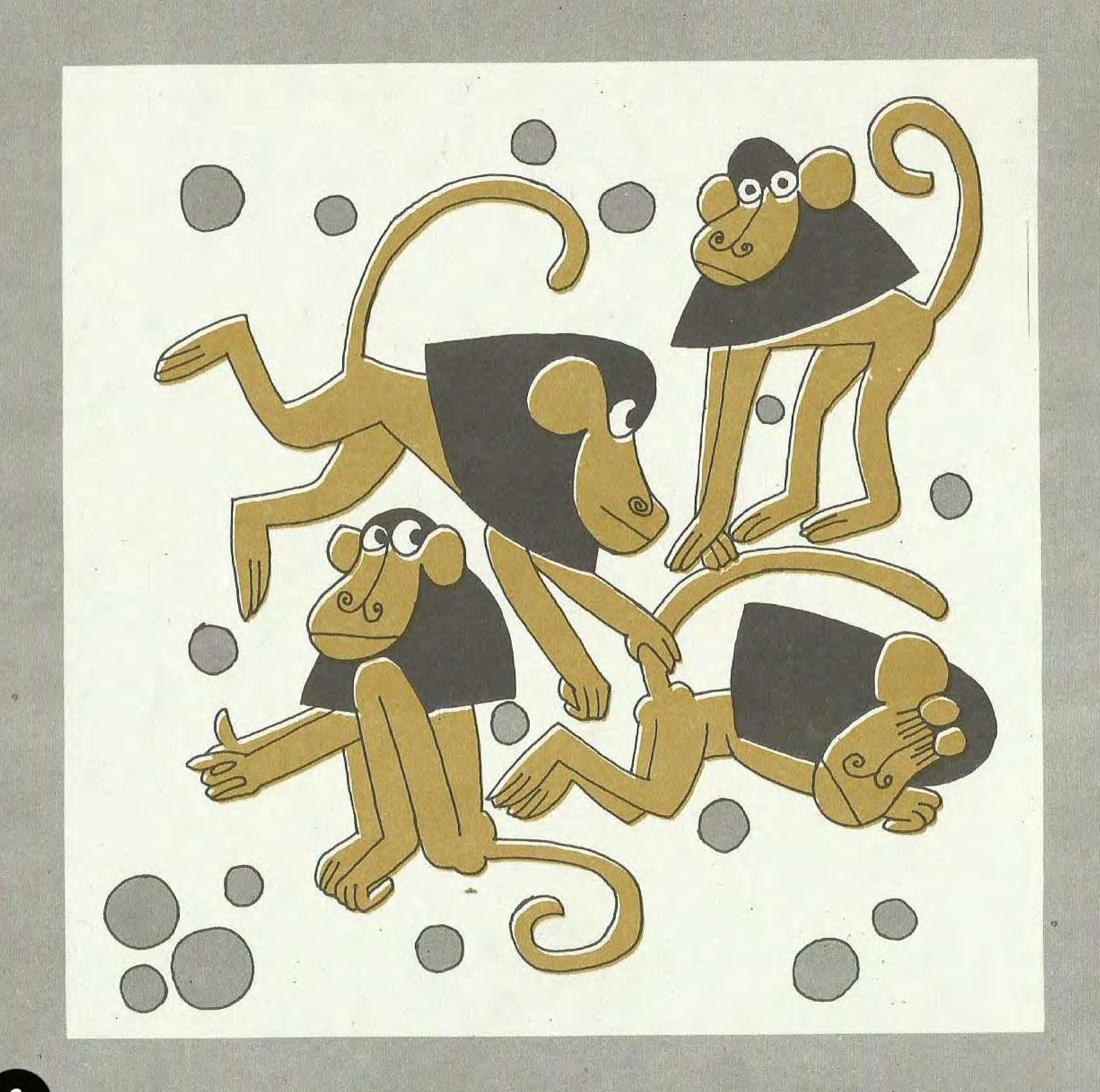
الآن فانصرفوا إلى لعبكم ، واتركوا التفكير في مثل هذه المشاكل لمن يفهم فيها » .

تحرك القرد « ماهر » مبتعدا عنهم ، وهو يفكر فيما سمعه ، متعجبا من كلمات ذلك القرد الشاب الجريء . وكان القرد « ماهر » يعلم جيداً أن الطعام أصبح لا يكفي القرود الذين يتزايد عددهم يوما بعد يوم ، غير أنه كان يحاول دائماً أن ينسى أو يتناسى هذه المشكلة ، كلما تصور ما يقتضيه حلها من جهد وعمل شاق ، لا يقوى عليه ، وهو في هذه السن .

تمر الشهور ، والقرد « ماهر » يحاول أن ينسى ما دار بينه وبين شباب القرود ، وكان يشغل نفسه بما ينسيه ما حدث . غير أن الشباب كانوا يتذكرون المشكلة كل يوم عندما يجتمعون ويتناقشون فيها ، ويتحدثون عن الملك العجوز الذي لا يريد أن يفعل شيئا .

وذات يوم كان القرد « ماهر » يقوم بجولته الصباحية ، فوجد قرود المملكة يلتفون حول القرد الشاب ، يستمعون إلى كلماته في إعجاب وحماس شديدين . اقترب منهم في حذر وحرص ، متخفيا حتى لا يراه أحد منهم .

قال القرد الشاب للقرود التي التفت من حوله « لقد تكلمنا معه في هذا الأمر منذ عدة شهور ، لكنه لم يفعل شيئاً حتى الآن . ولو أننا انتظرنا أكثر من هذا ، فسيأتي الوقت الذي سنتعارك فيه على الطعام ،



ويقتل بعضنا البعض دون شفقة أو رحمة » ، تعالت صيحات القرود ، فتصاعد حماس القرد الشاب وقال « لقد عثرت على المكان الذي لا بد أن ننتقل إليه ، ولن نسمح لأحد أن يعترض طريقنا ، حتى ولو كان الملك ماهر نفسه » .

ما زال الملك « ماهر » يذكر حتى اليوم ، ذلك الخوف الذي استولى عليه ، عندما سمع القرود تهتف بسقوطه ، وتتبع القرد الشاب إلى المكان الجديد الذي دعاهم إليه . ويذكر كيف هرب مبتعداً حتى لا تفتك به القرود ، وتقضي عليه في ثورة غضبها .

سار الملك المخلوع ، حتى وصل إلى منطقة مهجورة بعيدة ، عند شاطىء البحر ، وجلس على الشاطىء يفكر حزينا فيما حدث له . وعندما غابت الشمس ، أفاق من افكاره ، وأدرك أنه أمضى نهاره يفكر ، فتطلع حوله يبحث عن مكان ينام فيه .

بالقرب من شاطىء البحر ، رأى شجرة تين عالية مليئة بالثمار الناضجة ، صعد القرد على ساقها ، وجلس على أحد أغصانها ، يتدفأ بالأوراق ، ويأكل من الثمار الطيبة .





ذات يوم ، وبينما كان القرد يقطف ثمار التين ويأكلها ، سقطت منه ثمرة في الماء ، فأحدثت صوتاً أعجبه .. فتناول ثمرة أخرى وألقاها عامدا في الماء ، وأنصت جيدا ليستمع لصوت سقوطها في الماء .

أعجبت القرد هذه اللعبة الطريفة التي يمكن أن يتسلى بها في وحدته . وفي نفس الوقت كانت السلحفاة البحرية تعوم تحت الماء ، وتسرع إلى كل ثمرة يلقيها القرد ، فتأكلها متلذذة بطعمها . وهي تتصور أن القرد يلقي إليها بثمار التين كهدايا يسعى بها إلى صداقتها .

كان القرد يجلس على غصن من أغصان الشجرة ، يتذكر حياته القديمة التي عاشها ملكاً على القرود ، عندما سمع صوتا يصدر من أسفل الشجرة ، يناديه قائلا « صباح الخير أيها الصديق الكريم .. » . أخذ القرد يبحث عن مصدر هذا الصوت ، دون فائدة . ثم سمع نفس الصوت يقول « أنا هنا .. ألا تراني يا صديقي .. » . وتحرك الماء حركة واضحة ، مما لفت نظر القرد ، فأخذ يدقق النظر فرأى رأس السلحفاة البحرية يبرز فوق سطح الماء ، وسمعها تقول له « لقد جئت أشكرك على هداياك » .

هبط القرد من فوق شجرته ، واقترب من الماء قائلا « من أنت ..؟ وما هي الهدايا التي تتكلمين عليها ؟. » . تقدمت السلحفاة إلى الشاطىء ، مقتربة من القرد وهي تقول « ألا تعرفني ؟. أنا صديقتك السلحفاة » ، سألها القرد « وماذا تفعلين في الماء .. تستحمين ؟. » .



قالت السلحفاة ضاحكة « ماذا أفعل في الماء ؟!. أعيش .. حياتي كلها في الماء » . سأل القرد « وهل تعيش السلاحف في الماء .. أرى السلاحف تعيش دائماً على الأرض » .

فهمت السلحفاة سبب هذا السؤال ، فقالت « أنت تتكلم عن شقيقتي السلحفاة البرية .. أما نحن السلاحف البحرية ، فنعيش في الماء المالح ، ماء البحار » . وتقدمت السلحفاة فظهر جزء من جسمها خارج الماء ، ووجدها القرد كبيرة الحجم ، أكبر من السلاحف التي رآها من قبل ، تتميز بلونها الأخضر الجميل ، الذي يلمع عليه الماء تحت أشعة الشمس .

قالت السلحفاة « أما الشكر ، فعلى ثمار التين التي تلقيها إلي كل يوم في الماء ، والتي أتمتع بطعمها اللذيذ .. ومن هذا عرفت أنك تسعى إلى صداقتي ، فسررت بذلك » . أخذ القرد يفكر في هذه الصدفة الغريبة . لقد كان يلعب بثمار التين ، فاذا السلحفاة تشكره على ذلك وتعرض عليه صداقتها . فرح القرد بهذه الصداقة التي لم يكن يتوقعها ، بعد وحدته الطويلة منذ أن غادر مملكة القرود .

قال القرد « أنا سعيد بهذه الصداقة ، أيتها السلحفاة العزيزة ، وأنا على استعداد لتقديم ما ترغبين فيه من ثمار التين ، فالشجرة كما ترين مليئة بالثمار ، تكفينا معا وتزيد عن حاجتنا » . شكرته السلحفاة ثم قالت « وما الذي جعلك تعيش وحيداً فوق هذه الشجرة ؟..» . وعندما

رأت السلحفاة ما أصاب القرد من حزن نتيجة لسؤالها ، أسرعت تقول « أرجو ألا أكون قد ضايقتك بسؤالي أيها الصديق » . قال القرد « بل لا بد أن أقص عليك القصة كاملة .. فالعاقل هو من استفاد بما يسمعه من حكايات ، وما يجري حوله من أحداث » .



عندما انتهى القرد من حكايته ، ظهر التأثر العميق على السلحفاة ، وقالت « يا لها من قصة حزينة .. واعلم أنني سأكون لك خير صديق » .

كانت السلحفاة البحرية صادقة في قولها ، فبقيت مع القرد لا تتركه ليلا أو نهاراً . يتبادلان الحديث ، ويأكلان من ثمار التين الحلوة . وذات يوم سأل القرد « يا صديقتي ، لقد حكيت لك عن حياتي كلها بما فيها من أفراح وأحزان ، ولكني لم أسمع عنك شيئا .. أليس لك أقارب أو أصدقاء من جنسك ؟ .. » . قالت السلحفاة « بل لي زوجة وأقارب كنت أعيش بينهم قبل أن أعوم قادمة إليك .. وقد سعدت بصداقتك ، فلا أطيق أن أتركك وأعود إليهم » .

تعجب القرد من كلام السلحفاة ، وشكر الله على هذه الصداقة

التي حظي بها ، والتي تعوضه عن فقد أهله وأصحابه .

هناك في أعماق البحر ، كانت زوجة السلحفاة تعيش حزينة ، وقد غاب عنها زوجها ، وانقطعت أخباره ، فظنت أن أحد الصيادين قد اصطاده ، أو أنه قد مات . أخذت تبكي ، وتسأل كل من يمر بها من السلاحف « ألم ير أحد منكم زوجي ؟.. ألا يعرف أحدكم شيئا عما جرى له ؟ » . وذات يوم قال لها صديق « إن زوجك بخير .. وهو يعيش بصحبة قرد اتخذه صديقاً بالقرب من الشاطىء » . قالت الزوجة « واذا كنت تعرف مكانه ، فلماذا لا تذهب إليه وتطلب منه أن يعود إلى بيته ؟. » . أجاب « زوجك متمسك بصداقة القرد ، سعيد بها .. لن يعود إلا اذا دبرنا حيلة نقضي بها على ذلك القرد ، أو نخيفه حتى يبتعد عن الشاطىء ، فيعود إليك زوجك » .

انصرفت الزوجة حزينة ، وهي تفكر كيف تبعد ذلك القرد عن زوجها . وكانت لها صديقة من السلاحف كبيرة في السن ، اشتهرت بين السلاحف بالمكر والدهاء . ذهبت إليها الزوجة الحزينة وهي تبكي ، وحكت لها قصة زوجها والقرد . قالت السلحفاة العجوز « هذه مسألة سهلة .. واذا أنت كنت حريصة على عودة زوجك ، إعملي بما أقوله لك » . فرحت الزوجة بهذا الكلام وقالت « أسرعي قولي .. وستجدين مني الطاعة الكاملة » . قالت السلحفاة العجوز « ارقدي في بيتك ، وقولي

لكل من يزورك أنك مصابة بمرض شديد، وأرسلي صديق زوجك يخبره بهذا ، فاذا حضر قولي له إن مرضك قد حير الأطباء ، وإنهم اتفقوا أخيرا على أن علاجك لن ينجح ، إلا بأكل قلب قرد عجوز .. وأنك بغير هذا العلاج تموتين » .

عندما علم الزوج بمرض زوجته ، أسرع إليها ، فوجدها تتألم وتتوجع وتقول « انتهى الأمر يا زوجي .. سأموت .. علاجي صعب لا يمكن الوصول إليه » ، سألها فزعا « وما هو ذلك العلاج ؟.. وأنا أعدك أن أجيء به مهما كان صعبا أو بعيداً .. حتى ولو كان في أعماق البحار » . قالت الزوجة بصوت منخفض « قلب قرد عجوز .. » . ظهرت الدهشة الشديدة على الزوج ، وأخذ يفكر ثم قال « وأين لنا بقرد ونحن نعيش في الماء .. » . قالت الزوجة وهي تتوجع « ألم أقل لك أن علاجي غير موجود .. انتهى الأمر يا زوجي ، ودعني أموت » .



أمضى الزوج ليلة طويلة ، لا يغمض له جفن ، وهو يفكر حائراً فيما سمع .. حياة زوجته في خطر .. والحل عند صديقه القرد .. فهل يرضى بأن يضحي بحياته في سبيل الزوجة المريضة ؟.. لا .. لا .. لا بد من

حيلة .. وعاد الزوج يفكر من جديد « واذا وصلت إلى حيلة أحصل بها على قلب القرد ، كيف أرضى عن خداعي لصديقي ؟. وما معنى الصداقة اذا خدع الصديق صديقه ؟. لا .. لا بد من البحث عن حل آخر » .

هكذا مضى أغلب الليل ، والزوج يفكر ، يود إنقاذ زوجته ، ولكنه في نفس الوقت ، لا يطيق أن يقضي على حياة القرد الذي وثق به . .

وعندما طلعت الشمس ، كان الزوج يعوم حول بيته ، مفكراً في هذه المشكلة التي لا حل لها ، فالتقى بصديقه من السلاحف الذي نقل إليه خبر مرض الزوجة ، سأله الصديق « لماذا تبدو حزيناً هكذا ؟. » . قال الزوج « كما تعلم ، زوجتي مريضة ولا علاج لها سوى قلب قرد عجوز » . قال الصديق « وأين هي المشكلة ؟. لماذا لا تحتال على القرد الذي تجلس معه هذه الأيام ، وتأخذ قلبه لتعالج به زوجتك ؟ ».

صاح الزوج محتجا « كيف أخون صديقي الذي يقدم لي كل يوم ثمار التين ؟» . فقال الصديق « وهل ثمار التين أهم من حياة زوجتك ؟» . قال الزوج « ولكني لا أطيق التفكير في القضاء على حياة صديقي القرد » . فضحك منه الصديق ساخرا وهو يعوم مبتعدا ، ويقول « ذلك القرد العجوز سيموت في الأغلب بعد عدة أسابيع .. فما قيمة حياته ، ولكن زوجتك صغيرة في السن ، وأمامها عمر طويل » .



عندما وصل الزوج إلى القرد ، فرح القرد بوصوله وأخذ يتراقص ويقذف إليه بثمار التين . ولاحظ القرد أن الزوج لا يهتم بالثمار ويتركها تغرق في البحر . سأل القرد مستفسراً « لماذا لا تقبل ما ألقيه إليك من الثمار الناضجة .. وما سر غيابك طوال هذه الفترة ؟» . أجاب الزوج « إنه الحياء .. لقد خجلت منك وأنت تطعمني كل يوم من ثمار التين ، ولا أقدم لك شيئا .. وقد غبت عنك لأعد لك وليمة فاخرة في منزلي .. فأنا أسكن إلى جوار جزيرة مليئة بالأشجار ذات الثمار الطيبة من كل صنف ولون ، وبها أيضا أشجار جوز الهند والجوز واللوز والبندق ، التي تحبها » .

فرح القرد بهذه الأخبار ، وأخذ يتراقص و يتصايح ، ثم توقف فجأة وهو يسأل « ولكن .. كيف سأعبر البحر الى تلك الجزيرة التي تتحدث عنها ؟» . أجاب الزوج « ستركب على ظهري ، وأعوم بك » .

أسرع القرد يمتطي ظهر السلحفاة .. وعندما بدأت السلحفاة رحلتها ، أخذ القرد يغني سعيداً بعبوره البحر ، يمد يده إلى الماء يعبث به فرحاً . قطع الزوج مسافة كبيرة في حماس ، ثم بدأ يندم على فعلته ، فتلكأ في عومه . وسأله القرد « لماذا توقفت عن العوم ، هل ندمت على دعوتي إلى تلك الجزيرة ؟» . تردد الزوج قليلا ثم قال « لم أندم ... لكن زوجتي مريضة مرضاً شديداً ، وأخشى أن يحول ذلك دون استقبالك الاستقبال اللائق بك » .



قال القرد منزعجا « لقد أحزنني مرض زوجتك .. وأرجو أن تجدها قد شفيت من مرضها عندما تعود إلى منزلك .. هيا أسرع حتى نطمئن عليها ... أما أنا ، فيكفيني اكراماً أن تتركني في تلك الجزيرة »

واصل الزوج عومه بحماس ، ولكنه ما لبث أن عاد يتلكأ من جديد ، ويدور في حلقات حول نفس المكان . تعجب القرد من تصرف السلحفاة ، فأخذ يفكر في الأمر . قال لنفسه ، « هذه السلحفاة تخفي سراً ، وهي على غير طبيعتها تبدو مشغولة الفكر مكتئبة » . وأخذ ينظر إلى الأمواج التي بدأت تعلو من حوله ، وسأل نفسه « كيف وثقت بالسلحفاة ؟.. وما الذي جعلني أطمئن إلى حيوان ليس من جنسي ؟. ألم أتعظ بما فعله بي ابناء جنسي من القرود حتى أثق الآن بسلحفاة ؟. وماذا أفعل الآن وأنا بلا حيلة أو قوة على ظهرها وسط الماء » .

كانت السلحفاة قد توقفت تماماً عن السباحة وأخذت تعوم في مكانها ، سأل القرد « ماذا حدث .. ولماذا نتوقف هنا في وسط البحر ؟. » . قال الزوج وقد ضاق صدره بالسر الذي يخفيه عن صديقه « لا بد لي من أن أكاشفك بالحقيقة كاملة ، لقد قلت لك إن زوجتي مريضة بمرض خطير » ، سأله القرد « ولماذا لا تعرضها على الاطباء ؟» . قال الزوج « لقد عرضتها على عدد من الاطباء فأجمعوا كلهم على دواء

واحد » . فقاطعه القرد قائلا بحماس « وماذا تنتظر ؟ ، هيا أسرع باحضار هذا الدواء ، مهما كلفك من ثمن » . قال الزوج وكأنما قد انزاح عن قلبه حمل ثقيل « قالوا إن الدواء الوحيد هو .. قلب قرد كبير في السن ..» ، جمد القرد في مكانه فوق ظهر السلحفاة ، وقال لنفسه « وا أسفاه لقد ضعت نتيجة لتسرعي واندفاعي في صداقة من لا أعرفهم » . صمت القرد طويلا يفكر في هذه المشكلة العويصة وكيف ينقذ نفسه من هذه النهاية المؤلمة ... فسمع الزوج يقول « هل أزعجك قولي أيها الصديق العزيز ؟» .

أخذ القرد يفكر بسرعة ، ثم قال « لا .. أبدا .. ولكنني فقط متأثر بحزنك على زوجتك ، وكل ما في الأمر أني عاتب عليك لأنك لم تقص علي هذه الحكاية ونحن عند الشاطىء » . سأله الزوج « وماذا كنت ستفعل هناك ؟ » ، أجاب القرد « على الأقل كنت أخذت قلبي معي » . فعاد الزوج ليسأله مندهشاً « وأين قلبك إذاً .. ألا تحمله الآن بين ضلوعك ؟. » . أجاب القرد « لا .. بل أتركه فوق شجرة التين .. ألا تعلم أن هذه هي عادتنا معشر القرود .. نترك قلوبنا قبل أن نبدأ رحلاتنا الطويلة ، حتى لا تميل هذه القلوب إلى غير زوجاتنا أو أهلنا .. » .



توقف الزوج عن السباحة تماما ، وقال في حيرة « أتعني أن قلبك ليس موجودا داخل صدرك ؟ » . قال القرد فرحاً بنجاح حيلته « إنه هناك فوق أعلى غصن من أغصان شجرة التين ، وقد غطيته بأوراق التين ، حتى أجده سليما نظيفا عندما أعود من رحلتي .. واذا شئت عدنا سريعا ، لآتي به ، وأقدمه إلى زوجتك المريضة ، حتى يتم لها الشفاء ، ويذهب عنك حزنك » .

قال الزوج ، وهو لا يصدق ما يسمعه « أفهم من هذا ، أنك موافق على إعطاء قلبك لزوجتي حتى تأكله ؟» . صاح القرد بحماس « طبعا .. وهل أبخل بمثل هذا المطلب من أجل صديق لي .. هيا أسرع بنا إلى الشجرة ، ولا تتأخر » .

قال الزوج بفرحة كبيرة « لقد أرحتني يا صديقي العزيز ... وأرحت ضميري المعذب ، الذي كان يؤلمني كلما تصورت أنني سآخذ قلبك منك بالخديعة ، ودون أن تعلم .. أما الآن ، وقد أعطيت أعلى مثل للصداقة الحقيقية .. فهيا بنا إلى شجرة التين » .



أسرعت السلحفاة تعوم إلى الشاطىء وهي تغني فرحة ، والقرد

فوق ظهرها ينظر باحثاً عن الشاطىء في شوق شديد ، لا يصدق انه قد نجا من النهاية التي كانت تنتظره .

عندما وصلت السلحفاة إلى الشاطىء ، قفز القرد بكل قوة إلى الرمال ، ثم أسرع بتسلق شجرة التين حتى وصل إلى أعلى غصن فيها ، وجلس يسترد أنفاسه ويشكر الله على نجاته . بعد قليل قالت السلحفاة « لماذا هذا التأخير يا صديقي .. هيا ، أسرع قبل أن يشتد المرض على زوجتي » .

ضحك القرد فوق شجرته وقال للسلحفاة « إسمعي أيتها السلحفاة ، لقد أدى بي عدم التدبر وإساءة التصرف ، أن خسرت مملكتي ، وبقيت هنا وحيداً فوق هذه الشجرة .. ويبدو أنني كنت على وشك أن أفقد عقلي .... وأستسلم لأقوالك دون تفكير ، فأفقد حياتي كلها .. أيتها السلحفاة .. إرجعي إلى أهلك وعشيرتك .. وكفاني ما رأيت من صداقتك . ولأن خسرت صديقاً ألهو معه ، فقد كسبت حياتي بحيلتي و حسن تفكيري » .

